

ماذا بقي لنا من الاستقلال

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

الاستقلال هو الوطن، والوطن هو لبنان، ولبنان هو الإيمان بشعب وهوية وبحق المواطن بحياة حرة كريمة ابيهة. الاستقلال هو الكرامة والمساواة والعدالة والعيش المشترك. الاستقلال هو جزاء الدماء الطاهرة التي سقى بها الشهداء تربة لبنان طوال ٦٠٠٠ سنة فقدسوها وحولوها إلى جنة على الأرض. الاستقلال هو رسالة القداسة وهو الإنسان اللبناني المؤمن بلبنانه ورببه وحتمية انتصار الحق على الباطل.

الاستقلال هو الحق الذي سينتصر على الباطل، طال الزمن أو قصر.

في ٢٢/١١/٢٠٠٠ تمر ذكرى الإستقلال ال ٥٧ على شعبنا اللبناني فيما الاستقلال مصادر بقوة السلاح الغريب، ومغيب بسبب عمالة، فجور وكفر، حكام دمي محليين نصبهم المحتل لينكلوا بأهلهم وينفذوا مخططاته التدميرية. لقد أمسى استقلال وطن أجدادي ذكرى بعد أن اغتصب وسرق وضاع على يد مدعي الأخوة- اخوة قايين.

فقد الاستقلال معناه المعاش منذ سنة ١٩٩٠ بعد أن تم تدنيس آخر معاقل الحرية باحتلال الأرض المقدسة والتكيل بأهلها الشرفاء وسجن الأحرار منهم وإبعاد حكامهم الشرعيين وتنصيب دمي مسيرة مكانهم لا قرار ولا كرامة ولا انتماء وطني أو أخلاقي لديها - واجهات ومماسح يتلظى وراءها المحتل ويستعملها أداة لخدمة مصالحه.

ماذا بقي لنا من الاستقلال ليقوم البعض في كندا وغيرها من بلاد الانتشار بالاحتفال بالمناسبة بالرقص والغناء "ودق الكاسات" وهز الخصور وإلقاء الخطب الرنانة المفرغة من كل معنى؟ عار على هؤلاء أن يتعاموا عن الواقع الاحتلالي المؤلم الذي يرزح تحت نيره أهلهم في الوطن الأم، وعار عليهم وهم الذين يعيشون في بلاد ديموقراطية تصون الحريات وتقديس الكلمة أن يتصرفوا كالعبيد ويبخرون لمحتل ونظام غير شرعي يقهران أهلهم ويرهنان مستقبل أجيالهم ويقوضان كل مقومات استقلال وطنهم. عار عليهم أن يكون ولائهم لغير لبنان الكيلن والسيادة والتعايش والحريات وال ٦٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة.

ماذا بقي من الاستقلال بعد أن قوّضت الديموقراطية وصودرت الحريات وكمت الأفواه وأممت وسائل الإعلام وأصبح ثلثي شعبنا يعيش تحت حافة الفقر المدقع والثلث الآخر مشرد في أصقاع الدنيا الأربعة؟ ماذا بقي من الاستقلال والمحتل ودماه المحليين لم يتركوا بنداً من بنود الدستور إلا وانتهكوه ولا قانوناً إلا وهتكوه ولا ثابتة وطنية إلا ونقضوها؟

ماذا بقي من الاستقلال والمحنت السوري يعين الرؤساء والنواب والسفراء ويتحكم بكافة مفاصل الدولة جاعلاً من لبنان بلداً فقيراً معزولاً عن محيطه والعالم غارقاً في الديون؟ ماذا بقي من الاستقلال فيما مليون ونصف مليون عامل سوري يهيمنون بالقوة على سوق العمالة مجبرين شبابنا وشبابنا على الهجرة بحثاً عن لقمة عيش كريمة؟ وأي استقلال هذا الذي يحتفلون بعيدة فيما الحدود اللبنانية "مسييه وداشرة" دون حراسة تُهرب عبرها المنتجات الزراعية والصناعية السورية وتلك الآتية عن طريق سوريا لتغرق أسواقنا وتتسبب بكساد كافة منتجاتنا مؤديةً إلى هجرة مزارعنا لأرضهم وإقفال المصانع وإفلاس المؤسسات؟

ماذا بقي من استقلالنا وجيشنا البالغ عدد رجاله ٧٠ ألفاً ممنوع عليه دخول الجنوب ليحمي أهلنا ويحرس حدودنا ويفرض سلطة القانون ويوقف حروب الآخرين على أرضنا؟ أي استقلال هذا والمئات من أهلنا معتقلون اعتباطاً في السجون السورية دون محاكمات ومحرومين من كافة حقوقهم الإنسانية والقانونية فيما متولي حكم بيروت يرفضون الاعتراف بوجودهم ويطلبون من أهلهم اعتبارهم في عداد الأموات ويصدرون شهادات الوفاة لهم وهم أحياء يقبعون في الزنزانات الشامية-الستالينية؟

أي استقلال هذا و ٦٠٠٠ آلاف جنوبي مهجرين عنوةً إلى إسرائيل وعدد مماثل لهم يتعرض في وطنه لمحاكمات مسرحية بتهمة الخيانة والتعامل مع العدو. أما جريمة الأكثرية الساحقة من هؤلاء الضحايا أنهم صمدوا في أرضهم ودافعوا عنها طوال ٢٥ سنة كانت الدولة خلالها غائبة ومغيبة عن جنوبهم.

إن الاستقلال سيبقى مغيباً طالما بقي جندي غريب واحد على أرض لبنان، والحل هو بجلاء كافة القوى الغربية وملحقاتها، ولا حل سواه. أما الاحتفال بعيد الاستقلال بغير الصلاة والعمل الجاد من أجل التحرير فجريمة بحق الوطن وتكراراً لتضحيات الآلاف من شهدائه البررة.

مع الدكتور نبيل الطويل نقول: "نحن في هذه السنة نطالب بعد ٨٠ سنة على قيام الدولة و٥٨ سنة على الاستقلال و٥٤ سنة على الجلاء، نطالب إجلالاً للذين سقطوا ووفاء لزعماء كبار من أمثال حميد فرنجية ورياض الصلح، نطالب بالاستقلال وبجلاء كل الجيوش عن أرض الوطن. إن مشكلة اللبنانيين سيادتهم، لا ارتهانهم، واستقلالهم لا تعایشهم. ومشكلة اللبنانيين حقوق إنسانهم، لا عروبة لسانهم. ولعلنا في ذكرى الاستقلال هذه نتعهد مسلمين ومسيحيين وضمن الحوار وتحت راية أخلاقيات الحرية بأن:

نكسر طوق العجز المكتسب الذي يسجننا فيه أصحاب التسلط.

نعمل جاهدين للتحرر من عقدة الرهينة وذهنيات الدمى والتبعية.

ونسعى متوحدين لتحرير أمراء الحرب والهيمنة من العقدة التي تدفعهم للتضحية بمواطنيهم إرضاء لمشاريعهم ولماربهم وإكراماً للباب العالي".